عنه تعالى والظاهر على الاول ان يكون وعدنا على لفظ الماضي المبني للفاعل وعلى الثاني ان
يكون على لفظ المبني للمفعول ثم ان زكريا ع لما بشر بالولد اراد ان يجعل الله له علامة يدل على
حمل امرأته ووقوع ما بشر به في رحمها ليزيد في الشكر ودعاء السلامة قوله تعالى سويا حال
من فاعل الا تكلم فجعل الله تعالى ان يتعذر عليه التكلم مع قدرته على التكلم بذكر الله تعالى وقراءة ع الناس
التورية علامة لذلك والمعنى اية ذلك ان لا تكلم الناس في هذه المدة حال كونك صحيحا سويا
ما بك من خرس ولا بكم قوله وقيل كتب لهم على الارض لم يرض به لقوله تعالى في سورة ال عمران
اية ان لا تكلم الناس الا رمزا اي الاشارة والكتابة على الارض لا يطلق عليها الا رمز الا
بتقدير القول ووهبنا له يحيى وقلنا يا يحيى خذ الكتاب اي التورية متلبسا انت بقوة بجد وانا
واستظهار بتوفيق الهي على انه حال من فاعل خذ والحكم الحكمة واستكمال النفس بالقوة
النظرية ومنه قوله تعالى واحكم كحكم فتاة الحي اذ نظرت يقال حكم حكما اي صار حكيما كما يقال حلم اي
صار حليما وروي انه قرأ التورية وهو صغير ابن ثلث سنين ولا شك انه فهم اسرار التورية والفقه
في الدين وهو ابن ثلث سنين كمال الحكمة وروي ان الصبيان دعوه الى اللعب فقال لهم ما
للعب خلقنا وقيل المراد بالحكم النبوة فانه تعالى احكم عقله في صباه واوحى اليه وهو صبي كما فعل
ذلك في حق زكريا عيسى وقوله تعالى وحنانا معطوف على الحكم واتيناه رحمة من عندنا اذ اتيناه
رحمة وتعطفا في قلبه تعطف بها على ابويه وغيرهما والحنان الرحمة والتحنن وحنين الناقة صوتها
اذا اشتاقت الى ولدها وقوله من لدنا صفة لحنانا ثم انه تعالى لما ذكر انه خلق يحيى من شيخ فان
وعجوز عاقر ترقى من ذكره الى ذكر ما هو ادل على كمال قدرته وهو ذكر انه خلق عيسى عليه السلام
من غير اب فانه ادل على كمال التدرج بالنسبة الى الاول فان الاول اقرب الى العادة بالنسبة الى
الى الثاني فقال واذكر في الكتاب مريم ذكر كلمة اذ في قوله تعالى اذ انتبذت ان تعد اوجه الاول
ان يكون بدل اشتمال من مريم لان المراد منها قصتها والاحيان مشتملة على ما فيها والثاني ان يكون
بدل الكل من مريم بناء على ان المراد بها قصتها وما ظرف ما وقع فيه وهما متحدان سدا والثالث
ان يكون ظرفا للمضاف المقدر اي اذكر قصتها اذ انتبذت والرابع ان يكون كلمة اذ بمعنى ان المصدرية
فيكون بدل اشتمال اي واذكر مريم انتباذها ونظيره قولك اكرمتك اذ لم تكرمني فانه بمعنى اكرمتك
لان لم تكرمني اي لعدم اكرامك اياي ولا يجوز ان يكون ظرفا لاذكر لان ذكره عم اياها ليس في
وقت انتباذ مريم والنبذ اصله الطرح والالقاء والانتباذ افتعال منه وانتبذت اي اعتزلت و
تباعدت وانفردت على رغبة الى مكان في ناحية الشرق من بيت المقدس او من دارها ثم انها
لم تقتصر على ذلك بل اتخذت من دون اهلها حجابا اي حائلا يحول بينها وبينهم ولا بد ان يكون احتجابها

احتجابها منهم مبنيا على غرض صحيح فقيل انها اعتزلت الى ذلك المكان القصي واحتجبت من اهلها لتخلو
للعبادة فلما كانت في منزل زكريا في محراب على حدة تسكن فيه وكان زكريا اذا دخل اغلق عليها
فتمنت ان تجد خلوة في الجبل لتفلي رأسها فانفجرت السقف لها فجلست في المشرقة وراء الجبل
فاتاها الملك وقيل عطشت فخرجت الى المفازة لتستقي والله اعلم والمشرقة موضع تبسط فيه
شعاع الشمس فيقعد فيه من احتاج الى ان ينتفع بحرارة الشمس وضم الراء وفتحها لغتان فيه
قوله لتستانس بكلامه علة لاتيان الملك اياها متمثلا بصورة شاب امرد فانه لو ظهر
لها في صورة الملائكة لنفرت عنه بل تغشى عليها ولم تقدر على استماع كلامه اطلق الروح
على جبرئيل ع تشبيها له بالروح من حيث انه سبب لحيوة الروح سبب لحيوة البدن الذين كانوا
ثم اضيف الى ضمير الباري تعالى تشريفا له قوله وتحتمل اي تتصرف وتذهب بالاستعاذة
بالله تعالى خجلة فاحتمل اي جلدته عن مكانه فانجلى قوله ويجوز ان يكون نعتا للمبالغة
في استعاذتها منه بكونه ممن يرجى منه ان يتقي الله لدلالة الكلام على انها لا تستعيذ به
تعالى منه ان لم يكن ممن يرجى منه التقوى لعلمها بان الاستعاذة لا تؤثر في غير المتقي
واذا لم يقصد به تقييد الحكم بل يكون المقصود المبالغة في استعاذتها بالرحمن على جميع التقادير
كما في قوله عليه السلام نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه فكيف اذا خاف منه ثم
جبرئيل عليه السلام لما علم خوفها قال انما انا رسول ربك على طريق قصر الموصوف على الصفة
لتزول عنها ذلك الخوف اي ليس لي ما تخافين مني لاجله وانما شاني الرسالة من جهة ربك في
هبة الغلام لك واسند الهبة الى نفسه لكونه سببا في هبته من حيث انه نفخ و وهب الغلام
لم يمنع درعها ويجوز ان يكون ضمير لاهب لله تعالى على ان يكون الملك حاكيا لها كلام ربها بواسطة نفخ الملك
بتقول مضمر كانه قال انما انا رسول ربك لابلغ اليك ما قال الله تعالى في حقك وهو قوله
اهب لك غلاما ويؤيده قراءة ليهب بالياء قوله ويعضده وجه الاعضاد ان المس لو
كان عبارة عن المباشرة مطلقا سواء كان بطريق النكاح او السفاح لكفى ان يقال
ولم يمسسني بشر ولا يحتاج الى ان يقال بعده ولم اك بغيا فلما قيل بعده ذلك علم ان المراد
بالمس المباشرة المشروعة فكانها قالت انى يكون لي غلام والحال ان الغلام لا يكون الا بمس الرجل
اما بالنكاح او بالزنا ولم يمسسني بشر منهما في حقي قوله ولذلك اي ولكون البغي فعولا بمعنى الفاعل اي
الفاجرة التي تبغي الرجال ويدعوهم الى نفسها لم يلحقه التاء لان الفعول بمعنى الفاعل يستوي فيه
المذكر والمؤنث فيقال رجل صبور وامرأة صبور بخلاف الفعول بمعنى المفعول فانه يفرق فيه
بين المذكر والمؤنث يقال ناقة حلوبة مثلا وجوز ان يكون البغي فعيلا بمعنى فاعل فحينئذ ان التجرد

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)